IUGJEPS
Vol 24, No4, 2016, pp 35-47
ISSN 2410-3152

تاريخ الإرسال (2016/05/17)، تاريخ قبول النشر (2016/06/22)

الخصائص العقلية لأولى الألباب في ضوء القرآن الكريم من منظور تربوي

د. حمدان عبد الله الصوفي [*1]

1 قسم أصول التربية ، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: hsoofi@iugaza.edu.ps

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن الخصائص العقلية لأولي الألباب في ضوء القرآن الكريم من منظور تربوي، واستخدم الباحث - لتحقيق هذا الغرض- المنهج الاستنباطي، من أجل استنباط أهم الخصائص العقلية لأولي الألباب في ضوء تفاسير الآيات القرآنية المشتملة على "أولي الألباب"، وعددها ست عشرة آية. وخلصت الدراسة إلى أن أولي الألباب يتصفون بتسع خصائص عقلية، تميزهم عن غيرهم من العقلاء. تلك الخصائص هي: التقوى، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وفقه الأولويات، والحكمة (الإتقان)، واستقامة الفهم، والتفكر المثمر، والاهتمام بمعايير التميز، والاعتبار بالسنن التاريخية، والتدبر المفضي إلى اليقين.

وأوصت الدراسة بإيلاء القرآن الكريم أهمية خاصة في المؤسسات التعليمية، بوصفه مصدر الهداية والحكمة، كما أوصت بتضمين برامج إعداد المعلمين في الجامعات مهارات التعامل مع القرآن الكريم، التي تؤدي إلى فهم آياته، واستنباط الجوانب التربوية منها .

كلمات مفتاحية:

الخصائص العقلية، أولو الألباب.

The mental characteristics for men of understanding in the light of the Holly Quran from an educational perspective

Abstract

This study aimed at revealing the mental characteristics for men of understanding in the light of the Holly Quran from an educational perspective. To achieve this goal, the researcher used the deductive approach in order to devise the most important mental characteristics for men of understanding in the light of the interpretations of Quranic verses containing "Men of Understanding", which are sixteen verses. The study concluded that men of understanding are characterized by nine mental characteristics that distinguish them from others. Those characteristics include: right conducting, balancing between righteousness and viciousness, the doctrine of priorities, wisdom (proficiency), integrity of understanding, the fruitful contemplation, studiousness of the standards of excellence, taking lessons from historical practices, and contrive leading to certitude.

The study recommended giving the Holly Quran a special importance in private educational institutions, as a source of guidance and wisdom. Besides, the study recommended the inclusion of the skills of dealing with the Holly Quran in universities' teacher preparation programs, which lead to understanding its verses, and devising its educational aspects.

Keywords:

mental characteristics, men of understanding

مقدمة:

إن القرآن الكريم كتاب هداية للإنسان، يهديه إلى خير الدنيا والأخرة، كما يرشده إلى أحسن الطرق والمسالك التي تكفل له سعادة الدنيا والأخرة، قال الله عز وجل: "**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**" (الإسراء، 9).

ذلك أن القرآن الكريم يهدي الإنسان إلى أرشد العقائد، وأقوم السلوك، وأصوب الأفكار، بما يسديه للإنسان من توجيهات، وما يزوده به من قيم ومعارف، وقد عُني القرآن الكريم بتصويب منهجية التفكير لدى الإنسان، من خلال إشاراته إلى العديد من الوظائف العقلية، كالتفكر والتدبر والنظر والاعتبار والاستنباط وغيرها من الوظائف.

كما أن القرآن الكريم ربط العديد من الخصائص العقلية بأولى الألباب، في ست عشرة أية جاءت في سياق مدح أولى الألباب والإشادة بصفاتهم. ولا شك في أن ربط القرآن الكريم جملة من الخصائص بأولي الألباب يدل على أهمية هذه الخصائص وضرورتها في العملية التربوية؛ خاصة في واقعنا المعاصر الذي يعج بالتحديات العقدية والفكرية والسلوكية، وما يتطلبه ذلك من امتلاك شباب الأمة مجموعة من الخصائص العقلية التي تمكنهم من الموازنة بين المصالح والمفاسد ومعرفة أولوياتها والاعتبار بالتجارب التاريخية والواقعية والتفكر المثمر في الآيات الكونية.

وبالنظر إلى أن القرآن الكريم أرشد الإنسان إلى قواعد ضبط الفهم الأساسية التي تمثل الخصائص الرئيسية لأولى الألباب، فقد رأي الباحث أهمية دراسة هذه الخصائص من منظور تربوى، من أجل تجليتها وإظهارها للمشتغلين في الحقل التربوي.

ولم يحظ هذا الموضوع بالعناية الكافية من الباحثين، مع الحاجة الماسة إليه؛ فقد أجرت الباحثة (جلال، 2011م) دراسة هدفت إلى الكشف عن مفهوم أولي الألباب في القرآن الكريم؛ والموضوعات التي تضمنها الخطاب القرآني لأولي الألباب. واستخدمت الدراسة المنهج الموضوعي، وخلصت إلى أن أولي الألباب هم الذين يتصفون بذكر الله، والتفكر في خلق السموات والأرض، وصلة الأرحام، وخشية الله، وخوف سوء الحساب، والصبر، والإنفاق، ودفع السيئة بالحسنة. كما انتهت الدراسة إلى أن أبرز الموضوعات التي تضمنها الخطاب القرآني لأولي الألباب هي: الدعوة إلى التوحيد، والاعتبار بقصص الأنبياء والرسل، وترغيب أولي الألباب في الدار الأخرة وتنفيرهم من الدنيا.

ويرى الباحث أن الحاجة اليوم ماسه إلى الكشف عن العمليات العقلية، التي أشار القرآن الكريم إليها، ذلك لأن الخالق عز وجل أعلم بالإنسان من نفسه، وبالتالي، فإن القرآن الكريم يرشد الإنسان إلى أقوم المسالك العقلية، التي توصل الإنسان إلى العلوم النافعة والقيم الفاعلة والسلوك القويم. قال الله عز وجل: "**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**" (الإسراء: 9).

وقد رأي الباحث ضرورة التركيز على الخصائص العقلية لأولي الألباب في ضوء القرآن الكريم، من أجل الاستفادة منها في الحقل التربوي.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

ما الخصائص العقلية لأولي الألباب في ضوء القرآن الكريم من منظور تربوي؟

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان الخصائص العقلية لأولي الألباب في ضوء القرآن الكريم من منظور تربوي.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من النقاط التالية:

1. أهمية تأصيل الخصائص العقلية التي تميز أولي الألباب، من خلال ما ترشد إليه الآيات القرآنية، التي أنزلت من أجل هداية الإنسان اعتقاداً وفكراً وسلوكاً.
2. ربط المفاهيم القرآنية بحياة الإنسان المسلم المعاصر، لتكون دليلاً له في لجة الأفكار المنحرفة، والقيم التي لا تليق بالإنسان.
3. قد يستفيد من هذه الدراسة الباحثون في مجال التأصيل التربوي، والمعلمون، والقائمون على برامج الإبداع التربوي.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في دراسته المنهج الأصولي (الاستنباطي)، من أجل استنباط أبرز الخصائص العقلية لأولي الألباب، في ضوء تفاسير الآيات القرآنية المتضمنة لخصائص أولي الألباب.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على إظهار الخصائص العقلية لأولي الألباب، التي وردت في الآيات القرآنية التي ذكر فيها "أولو الألباب"، وعددها ست عشرة آية. ولم تتطرق الدراسة إلى آيات أخرى ذكر فيها كلمات قريبة في معناها من "الألباب"، كالنّهي، والحِجْر.

مصطلحات الدراسة:

تضمنت الدراسة بعض المصطلحات التي يمكن إيضاحها على النحو التالي:

1. **الخصائص العقلية:** يقصد بها الصفات المتعلقة بوظائف العقل المسلم، الذي يستهدى بالوحي الإلهي في نشاطه المرتبط بالتفكير والفهم والتدبر في آيات الآفاق والأنفس.
2. **أولو الألباب:** ويراد بهم أصحاب العقول الخالصة، التي سلمت من ضلال الشبهات وزيغ الشهوات.
3. **الخصائص العقلية لأولي الألباب:** تعنى الصفات العقلية التي ارتبطت بأولي الألباب، الذين ورد ذكرهم في ست عشرة آية من القرآن الكريم.

تمهيد:

قبل الإجابة عن سؤال الدراسة، ينبغي إيضاح بعض المصطلحات الواردة في الدراسة لغةً واصطلاحاً.

عرف (الأصفهاني، 2009م، ص 500) اللّب بأنه: "العقل الخالص من الشوائب، وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه، كاللباب واللب من الشيء، وقيل هو ما زكى من العقل، فكل لب عقل، وليس كل عقل لُباً.

وذهب (أبو السعود، د.ت، ص 5-16) إلى أن أولي الألباب هم أصحاب العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الإلف، ومعارضة الوهم.

وعرّف (أبو زهرة، د.ت، ص 7-388) أولي الألباب بأنهم: أصحاب العقول التي تذهب في إدراكها إلى لُب الأمور وحقائقها، ويتدبرون مباديها، ونهاياتها.

وفي ضوء ما سبق من معانٍ يظهر أن أولي الألباب يتميزون عن غيرهم من العقلاء بالمزايا التالية:

1. صفاء العقل وخلوصه من الشوائب.
2. تجنب الركون إلى الظنون والأوهام في سعيهم إلى تحصيل العلوم والمعارف.
3. التفكير بطريقة مبدعة بعيدة عن التقليد المألوف.
4. إدراك لب الأمور وحقائقها، وتجنب النظرة السطحية للظواهر.
5. الربط بين بدايات الأمور ونهاياتها للوصول إلى فهم متكامل ومتوازن.

معنى الخصائص:

جاء في المعجم الوسيط: خصّ فلاناً بكذا، خصّاً، وخصوصاً، وخصوصية: آثره به على غيره، وخص كذا لنفسه: اختاره فهو خاص. والخصيصة: الصفة التي تميز الشيء وتحدده، وجمعها خصائص (أنيس وآخرون، 2013م، 1/ 237، 238).

وبناءً على ما سبق يعرف الباحث الخصائص العقلية اصطلاحاً بأنها: الصفات المتعلقة بوظائف العقل المسلم الذي يستهدي بالوحي الإلهي في نشاطه بالمرتبط بالتفكير والفهم والتدبر في آيات الأنفس والآفاق.

ويقصد الباحث بأولي الألباب أصحاب العقول الخالصة التي سلمت من ضلال الشبهات، وزيغ الشهوات.

ويعرّف الباحث الخصائص العقلية لأولي الألباب اصطلاحاً بأنها: الصفات العقلية التي ارتبطت بأولي الألباب الذين ورد ذكرهم في ست عشرة آية من القرآن الكريم.

الإجابة عن سؤال الدراسة:

ونصه: "**ما الخصائص العقلية لأولي الألباب في ضوء القرآن الكريم من منظور تربوي؟**"

من أجل الإجابة عن السؤال السابق اتبع الباحث الخطوات التالية:

1. حصر الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر أولي الألباب، وقد بلغت ست عشرة أية.
2. مراجعة العديد من كتب التفسير المعتمدة عند النظر في كل أية لإدراك ما تضمنته الآية من معان.

3. استنباط الخصائص العقلية المتضمنة في الآيات المقصودة في ضوء التفاسير المعتمدة.
4. دمج الخصائص العقلية المتكررة، أو المتقاربة في المعنى، لتصبح تسع خصائص عقلية يتميز بها أولو الألباب.

وسيتم عرض هذه الخصائص العقلية على النحو التالي:

1. الموازنة بين المصالح والمفاسد:

من أهم صفات أولي الألباب نفاذ بصيرتهم في الموازنة بين المصالح والمفاسد، مما يؤدي إلى استقرار حياة الفرد والمجتمع. قال الله تعالى: "**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**"(البقرة: 179).

قال (السعدى، 2000م، 247/1) رحمه الله في تفسير الآية السابقة:

"ولكم في القصاص حياة"، أي: تنحقن بذلك الدماء، وتتقمع به الأشقياء، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا رُئي القاتل مقتولاً انذعر بذلك غيره وانزجر فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يحصل انكفاف الشر الذي يحصل بالقتل. ولما كان هذا الحكم لا يعرف حقيقته إلا أهل العقول الكاملة والألباب الثقيلة، خصهم بالخطاب دون غيرهم، وهذا يدل على أن الله تعالى يحب من عباده أن يُعملوا أفكارهم وعقولهم في تدبر ما في أحكامه من الحكم والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة".

وفي قوله تعالى: "**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**" بيان لمحاسن الحُكم المذكور على وجه بديع لا تُنال غايته، حيث جُعل الشيء محلاً لضده، وعرّف القصاص ونكّر الحياة، ليدل على أن في هذا الجنس نوعاً من الحياة عظيماً لا يبلغه الوصف، وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحياة نفسين، ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل، والجماعة بالواحد، فتثور الفتنة بينهم، فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون، فيكون ذلك سبباً لحياتهم (أبو السعود، د.ت، 247/1).

إن الموازنة بين المصلحة المحضة والمفسدة المحضة، أمرٌ لا يحتاج إلى جهد عقلي كبير يبذله الناظر، ولكن الأمر الذي يحتاج إلى تأمل واجتهاد عقلي عميق، عندما تتعلق المصلحة والمفسدة بالشيء ذاته، أي عندما يكون الفعل الواحد مشتملاً على مصلحة ومفسدة، ويريد المجتهد أن يُغلّب جانب المصلحة أو المفسدة، ليبني على ذلك حكماً صائباً نافعاً.

لذلك توجه الخطاب في الآية السابقة إلى أولي الألباب الذين يدركون المصلحة الراجحة في القصاص، وإن كان في ظاهره إزهاقاً لنفس آدميّ.

وقال ابن عاشور رحمه الله في توجيه خطاب الآية القرآنية إلى أولي الألباب:

وفي قوله: "يَا أُولِي الأَلْبَابِ" تنبيه بحرف النداء على التأمل في حكمة القصاص، ولذلك جيء في التعريف بطريق الإضافة الدالة على أنهم من أهل العقول الكاملة، لأن حكمة القصاص لا يدركها إلا أهل النظر الصحيح، إذ هو في بادئ الرأي كأنه عقوبة بمثل الجناية، لأن في القصاص رزيّة ثانية، لكنه عند التأمل هو حياةٌ لا رزية" (ابن عاشور، 1948م، 145/2).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في حكمة اختصاص أولي الألباب بالنداء في الآية:

"فخص بالنداء أصحاب العقول الكاملة، مع أن الخطاب عام، للتنبيه على أن ذا اللب هو الذي يعرف قيمة الحياة والمحافظة عليها، ويعرف ما تقوم به المصلحة العامة، وما يتوسل به إليها، وهو مرتبتان: القصاص وهو العدل، والعفو وهو الفضل، كأنه يقول: إن ذا اللّب هو الذي يفقه سر هذا الحكم وما اشتمل عليه من الحكمة والمصلحة، فعلى كل مكلف أن يستعمل عقله في فهم دقائق الأحكام، وما فيها من المنفعة للأنام" (رضا، 1990م، 107/2).

وبما تم نقله مم تفاسير الآية السابقة، يتبين أن من أهم الصفات العقلية لأولي الألباب ، موازنتهم الدقيقة بين المصالح والمفاسد إذا اجتمعت في أمر واحد، من خلال نظرتهم الدقيقة وبحثهم العميق في الأمر ذاته موضع الاجتهاد، وفيما يترتب عليه من آثار تربوية ونفسية. ويمكن أن يستفاد من مضمون الآية السابقة في بيان الرؤية الإسلامية للعقوبة البدنية في المدارس، من خلال ملاحظة ما يترتب عليها من مفاسد تتمثل في إهانة الطالب المسيء وقمعه، وملاحظة ما يترتب عليها من مصالح تتعلق بضبط سلوك الطلبة، وتعديل ممارسات الإنسان المخطئ، لا سيما إذا تمت العقوبة البدنية وفق شروطها وضوابطها المستفادة من الشرع الحنيف.

2. فقه الأولويات:

من صفات أولي الألباب تقدير أولويات الأمور، ومن ثم اختيار أقربها إلى تحقيق المراد، سواء أكان هذا التقدير في الأقوال أو الأفعال. قال الله عز وجل: "**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**" (البقرة: 197).

روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: "**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**" (صحيح البخاري 1523:133/2).

ويلاحظ أن في الآية توجيهاً واضحاً إلى ضرورة التزود لرحلة الحج، بما يسد الحاجة من مال وطعام وغيره، وأن ذلك أولى من ترك التزود ثم سؤال الناس، وربما يعطون وربما يمنعون، كما أن في الآية أيضاً بياناً واضحاً بأن التقوى هي خير ما يتزود به، وهي أولى الزاد بالعناية والرعاية.

قال (ابن عاشور، 1948م، 236/2) في تفسيره للآية السابقة: "فقوله: فإن خير الزاد التقوى بمنزلة التذييل، أي: التقوى أفضل من التزود للسفر، فكونوا عليها أحرص".

وقال الله عز وجل: "**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**" (الزمر: 18).

أورد الإمام (الرازي، 2000م، 437/6) فوائد عديدة مستفادة من الآية السابقة، واعتبر الفائدة الأولي التي تدل عليها الآية: "وجوب النظر والاستدلال، وذلك لأن الله تعالى بين أن الهداية والفلاح مرتبطان بما إذا سمع الإنسان أشياء كثيرة، فإنه يختار منها ما هو الأحسن والأصوب، ومن المعلوم أن تمييز الأحسن والأصوب عما سواه يحصل بالسماع، لأن السماع صار قدراً مشتركاً بين الكل، لأن قوله: الذين يستمعون القول، يدل على أن السماع قدر مشترك فيه، فثبت أن تمييز الأحسن عما سواه لا يتأتى بالسماع، وإنما يتأتى بحجة العقل".

وأضاف الإمام الزمخشري صفةً أخرى إلى عباد الله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه حيث قال: "وأراد أن يكونوا نقاداً في الدين، يميزون بين الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل، فإذا اعترضهم أمران: واجب وندب، اختاروا الواجب، وكذلك المباح والندب، حراصاً على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثواباً. ويدخل تحته المذاهب، واختيار أثبتها على السبك، وأقواها عند السبر، وأبينها دليلاً أو أمارة" (الزمخشري، 1987م، 120/4).

ومن خلال ما تم عرضه يظهر جليا أن أولي الألباب يتميزون باختيار أولى الأمور وأقربها إلى الصواب وتحقيق المصلحة، من المعارف والممارسات والمهارات، وهذا يقتضى المقارنة العميقة بين الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل، بما يفضي إلى اختيار أولى الأمرين وأجدرهما بتحقيق الكمال.

3. الاتقان النظري والعملي:

قال الله تعالى: "**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ**" (البقرة: 269).

نقل الإمام القرطبي أقوال العلماء في معني الحكمة، حيث ذهب السدي إلى أن الحكمة معناها النبوة، وورد عن ابن عباس أنها المعرفة بالقرآن، وعن مجاهد أنها الإصابة في القول والعمل، وعن ابن القاسم أنها التفكر في أمر الله والاتباع له، وعن الحسن أنها الورع. ثم رجح القرطبي أن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قولٍ أو فعلٍ (القرطبي، 2003م، 330/3).

ورأي (ابن عاشور، 1948م، 63/12) أن الحكمة إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم، وهي مشتقة من الحكم – وهو المنع – لأنها تمنع صاحبها من الوقوع في الغلط والضلال.

وذهب السعدي إلي أن معنى الحكمة العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، ورأي أن كمال العبد متوقف على الحكمة، "إذ كماله بتكميل قوّتيه العلمية والعملية، فتكميل قوته العملية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل، وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره" (السعدي، 2000م، 115/1).

وذكر الإمام الثعالبي أن كل ما ذكره المتأولون في معني الحكمة يعود إلى الإتقان في عمل أو قول (الثعالبي، د.ت، 167/1).

وبالنظر إلى الآية السابقة التي قرنت بين الحكمة وأولي الألباب، ومن خلال ما تم نقله من أقوال المفسرين، يتبين للباحث أن الحكمة التي يتصف بها أولو الألباب نوعان متكاملان هما: الحكمة النظرية

والحكمة العملية، فالحكمة النظرية هي التي تمنح الإنسان الصواب في الاستدلال والفهم وبناء التصور الصحيح للمسائل، والحكمة العملية ترشد الإنسان إلى الإصابة في العمل والتطبيق وأداء الجانب المهني على خير وجه.

إن المجتمعات المسلمة بحاجة ماسة إلى تطبيق معنى الحكمة في العملية التربوية من خلال العناية بتعليم الطلبة مهارات التفكير بمختلف أنواعها وهذا ما يحقق الحكمة النظرية، إضافة إلى تدريب المتعلمين مهنياً بحيث يتقنون أداءهم إلى أعلى درجة ممكنة، وبذلك يتم تحقيق النهضة الشاملة التي تليق بمقام الأمة المسلمة كما أرادها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حيث قال: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" (أبو يعلى، 1948م، ص 4386) وصححه الألباني.

4. استقامة الفهم:

قال الله عز وجل: "**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ**" (آل عمران:7)

ذهب الإمام ابن كثير إلى اشتمال القرآن الكريم على آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، وهي أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاشتباه، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد (ابن كثير، 1999م، 271/1).

وبيّن الشيخ السعدي منهج الفهم السليم في التعامل مع كلّ من المحكم والمتشابه في آيات القرآن الكريم، حيث قال: " فالواجب في هذا أن يُردّ المتشابه إلى المحكم، والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضاً، ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة"(السعدي، 2000م، 122/1)

لقد بين القرآن الكريم أن منهج أهل الحق والفهم السليم يقوم على اتخاذ الآيات المحكمات التي هي أم الكتاب ضوابط للفهم ومعايير للنظر، يحكّمونها في الآيات التي تحتمل أكثر من معنى، فيصلون إلى الصواب والحق، بخلاف ما عليه أهل الزيغ والضلال من الاجتهاد في معاني الآيات المتشابهات دون معايير أو ضوابط، مما يجعلهم يطوّعون المعاني ويحرّفونها بما يوافق أهواءهم وضلالاتهم.

إن منهج أولي الألباب في الفهم والاستدلال يقوم على أسس راسخة ومنطلقات ثابتة، تمثل الضوابط التي ينطلق منها عمل العقل، والإطار المرجعي الذي يضبط الاجتهاد في المسائل المحتملة، والقضايا الظنية. وبذلك يتخلص العقل من الزيغ والوهم، ويبني الفهم على أسس سليمة.

ومن المعاني التربوية المستفادة مما سبق، ضرورة ضبط فهم المتعلم ووجدانه وسلوكه بما يتلاءم مع فطرته الأصلية، وعقيدته الإسلامية الراسخة، وخصائصه النمائية: العقلية والنفسية والبدنية. وبذلك نحقق المخرج التربوي المبدع، الذي يجمع بين أصالة المنطلق، وحداثة الأساليب والوسائل والطرائق، ويستفيد من الأفكار والمهارات والخبرات المعاصرة بطريقة تخلص الإنسان المسلم من مظهرين خطيرين هما: الجمود الذي يحمل الإنسان على رفض كل جديد نافع، بحجة المحافظة على الثوابت من المحكمات، والتبعية التي تحرف الإنسان بعيداً عن أصالته وهويته بحجة الحداثة واللحاق بركب "الحضارة" الغربية.

5. التفكّر المثمر في الآيات الكونية:

من أظهر الصفات التي تميز أولى الألباب التفكر في الآيات الكونية، والنظر في دقة خلقها، وإحكام تكوينها، ومن ثمّ الاستفادة منها وفق قانون التسخير الذي أودعه الله فيها.

قال الله عز وجل: "**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**" (آل عمران: 190)

قال الإمام ابن كثير في تفسير الآية السابقة:

"أي: هذه (يعني السموات) في ارتفاعها واتساعها، وهذه (يعني الارض) في انخفاضها وكثافتها واتّضاعها، وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار، وجبال وقفار، وأشجار ونبات وزروع وثمار، وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص، واختلاف الليل والنهار، أي: تعاقبها وتقارضها الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا، فيطول الذي كان

قصيراً، ويقصر الذي كان طويلاً وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم. ولهذا قال: لأولي الألباب، أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جليّاتها" (ابن كثير، 1999م، 184/2).

إن التفكر المثمر في الآيات الكونية، والنظر الدقيق في مكوناتها ووظائفها، والاستقراء الشامل لجزيئاتها وتفصيلاتها، هو العمل العقلي الذي ينبغي ترسيخه في أذهان طلبة العلم، ذلك لأنه طريقة النهضة العلمية، وسبيل إدراك القوانين العلمية التي تُبنى عليها الحضارة المادية، وهو في الوقت ذاته طريق الإنسان المؤمن إلى معرفة خالقه وتقديره قدره، من خلال تلمّس مواضع حكمة الله عز وجل ومواطن إبداعه. ومن ثم تكتمل الحضارة بشقيها المادي والإيماني ليحقق بذلك الانسان المسلم حقيقة العبودية.

قال الله سبحانه: "**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**" (الزمر:21).

في الآية السابقة يلفت القرآن الكريم نظر العاقل إلى ظاهرة كونية مألوفة حيث ينزل الله ماء المطر فيسلكه في ينابيع الأرض ثم "يخرج الله به زرعاً مختلفاً أصنافه من بر وشعير وغيرهما، أو كيفياته من خُضرة وحُمرة وغيرهما. ثم يهيج ويتمّ جفافه... فتراه مصفرا من يبسه، ثم يجعله حُطاماً فُتاتاً" (البيضاوي، 1998م ، 40/5).

إن ذوي الألباب لا يكتفون بالنظر العابر إلى تلك الظاهرة الكونية التي تتكرر في الحياة، ولكنهم يتفكرون فيها ليصلوا إلى الدرس المستفاد منها، حيث إن قدرة الله تعالى على إحداث هذه الظاهرة المألوفة للإنسان تدفع صاحب التفكر المثمر إلى تلمس مظاهر قدرة الله تعالى في ظواهر أخرى في حياة الإنسان، كظاهرة الموت والحياة، وظاهرة الزوال والبقاء، المتمثلة في موت الإنسان وحياته، وزوال الحياة الدنيا وبقاء الأخرة.

يقول الإمام (الطبري، 2000م، 277/21) في بيان التفكر المثمر في معنى الآية السابقة:

"إن في فعل الله ذلك... لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجا يتذكرون به، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذّر عليه إحداث ما شاء من الأشياء، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض. وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته وإعادته من بعد فنائه... كالذي فعل بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء، فأنبت بها الزرع المختلف الألوان بقدرته"

ومن المعاني التي تثمرها الآية السابقة ملاحظة الحياة الدنيا الفانية، إذا ما قيست بالأخرة الباقية الخالدة. وقد نبه إلى هذا المعنى الإمام الشوكاني حيث قال معقباً على الآية في وصفه لأولي الألباب:

" فإنهم الذين يتعقلون الأشياء على حقيقتها، فيتفكرون ويعتبرون، ويعلمون بأن الحياة الدنيا حالها كحال هذا الزرع في سرعة التصرّم وقرب التقضّي، وذهاب بهجتها وزوال رونقها ونضارتها، فإذا أنتج لهم التفكر والاعتبار العلم بذلك، لم يحصل منهم الاغترار بها والميل إليها وإيثارها على دار النعيم الدائم والحياة المستمرة واللذة الخالصة، ولم يبق معهم شك في أن الله قادر على البعث والحشر" (الشوكاني، 1984م، 525/4).

وبذلك يتبين ان من أهم صفات أولي الألباب التفكر المثمر في الآيات الكونية، وهذا يتطلب من المجتمع المسلم النهوض بالعملية التربوية لتعني بالوظائف العقلية العليا لدى الطلبة، كالتحليل والتقويم من أجل بناء العقل الناقد المبدع القادر على ربط المقدمات بالنتائج، والأسباب بالمسببات، والأمثلة بالتطبيقات. وهذا من أهم سبل الارتقاء بالأمة المسلمة ثقافة وحضارة.

6. الاهتمام بمعايير التميز والجودة:

من الصفات التي تميز أولي الألباب اهتمامهم بمعايير الجودة والتميز، من حيث تقديم النوع على الكم، والتطبيق الملازم للعلم الصائب، والجوهر على المظهر. قال الله عز وجل: "**قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**". (المائدة: 100).

تتضمن الآية السابقة توجيها لأولي الألباب مفاده أن الطيب أنفع وأثبت من الخبيث مهما انتفش الخبيث وكثر واستطال، وبالتالي فإن العبرة بصفة الشيء ومعدنه لا بشيوعه وكثرته، وهذا من أهم معايير الجودة والتميز، التي تقدم الصفة والكيفية على المظهر والكمية. وقد ذكر الإمام الأصفهاني هذا المعنى عند تفسيره للآية السابقة حيث قال:" الطيب وإن استقللتموه فخير من الخبيث، وإن استكثر قوة حتى يعجبكم كثرة، ونبه أن الاعتبار في الأشياء ليس بالقلة والكثرة، وإنما ذلك بالجودة والرداءة. فالمحمود القليل خير

من الذميم الكثير، ولذا قيل: أقلل وأطب" (الأصفهاني: 2001م، 459/5).

ومن الفوائد التربوية المتضمنة في هذه الآية ضرورة اهتمام العملية التربوية بالنوعية والكيفية في جانب إعداد المعلمين، وتصميم المناهج، وتأهيل الطلبة، دون التركيز على العدد والكم فقط، وكذلك اختيار الكفاءات الفاعلة النادرة لقيادة العمل التربوي على مستوى الإشراف وإدارة المدارس وتدريب المعلمين. وبذلك يمكن الارتقاء بجودة العمل التربوي.

قال الله تعالى: "**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الْأَلْبَابِ**". (الزمر:9).

قال الإمام النسفي معقباً على الآية السابقة:

"ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله، ويحذر عقابه لتقصيره في عمله" ثم قال في تفسيره قوله تعالى: قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" ما نصه:" أي: يعلمون ويعملون به، كأنه جعل من لا يعمل غير عالم، وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون، ويفتنّون فيها ثم يُفتنون بالدنيا، فهم عند الله جهلة، حيث جعل القانتين هم العلماء" (النسفي: 1998م، 172/3).

وفي ضوء المعنى العام للآية السابقة، وتفسير الإمام النسفي لها يتبين أن العلم النافع الذي يستحق التقدير هو العلم الذي يلازمه العمل والتطبيق، ومن جمع بين الأمرين هو العالم على الحقيقة، أما من لم يلازم العملُ والتطبيقُ علمَه، فلا يستحق أن يُنسب إلى أهل العلم، وإن كان واعياً بمراتب الأعمال ودرجاتها وأحكامها. وهذا المعنى يشير بوضوح إلى جانب مهم من جوانب الجودة والتميز، هو جانب التطبيق والعمل والامتثال لموجب العلم الصحيح.

إن التلازم بين العلم الصحيح والتطبيق المثمر ينبغي أن يكون مبدأ أصيلاً في العمل التربوي ليكون عملاً يتصف بالتميز والجودة، وهذا يقتضي وجود لجان متخصصة في المؤسسات التربوية بكافة مستوياتها تقوم بمتابعة التوصيات والمقترحات التطويرية التي تصدر عن المؤتمرات التربوية، والندوات والدراسات العلمية، ثم تحويلها إلى إجراءات عملية تأخذ طريقها إلى التطبيق في المؤسسات التربوية. وبذلك يحصل الارتقاء بالعمل التربوي نحو آفاق الجودة التميز.

إن العمل المثمر الذي يتصف بالجودة والتميز هو العمل الذي ينبني على العلم الصائب الصحيح، والعلم الصائب هو الذي يرشد الإنسان إلى العمل المثمر. ولذلك جعل القرآن الكريم من يعلم علم الحق كالبصير، ومن لا يعلم ذلك كالأعمى، حيث قال تعالى: "**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الْأَلْبَابِ**" (الرعد: 19).

وبذلك يتبين أن من أهم صفات أولي الألباب الواردة في القرآن السعي نحو التميز والجودة، في جانب العلم بالحرص على الوصول إلى أصوبه بالأدلة الصحيحة، وفي جانب العمل والتطبيق المسترشد بالعلم الراسخ.

7. الاعتبار بالسنن التاريخية:

إن أولي الألباب هم الذين يعتبرون بسنن التاريخ السالف المشحونة بالدروس والعبر. وقد ذهب الإمام الرازي إلى أن" الاعتبار عبارة عن العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول. والمراد منه التأمل والتفكر"(الرازي، 2000م، 522/18).

قال الله عز وجل: "**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**" (يوسف:111).

قال الإمام النسفي في تفسير الآية السابقة:" أي في قصص الأنبياء وأممهم، أو في قصة يوسف وإخوته عبرة لأولي الألباب، حيث نقل من غاية الحب إلى غيابة الجب، ومن الحصير إلى السرير، فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة، ونهاية المكر وخامة وندامة" (النسفي، 1998م، 139/2).

ان الاعتبار بالماضي هو الذي يربطه بالحاضر، ويستخرج من الماضي ما يجعل الإنسان أكثر فهماً لحاضره، وأقل خطأ في التعامل مع الحاضر. يقول الشيخ ابو زهرة في هذا المعنى:" والعبرة والاعتبار الحال التي يعرف فيها ما يجب عمله في الحاضر بالأخذ مما كان في الماضي، بأن يتفكر ويتدبر ما كان في الماضي من وقائع، ويعلم أنه نور يضيئ للحاضر" (أبو زهرة: د.ت، 388/7).

إن الآية السابقة من سورة يوسف تدعو اولي الألباب إلى التفكر والتأمل في تفاصيل قصة يوسف عليه السلام والاستفادة من أحداثها التي يمكن أن تتكرر بمعانيها على مرّ الدهور، وإن اختلف أشخاصها وأماكن وقوعها.

وقد ذكر الشيخ المراغي جهة الاعتبار بقصة يوسف فيما خلاصته: أن الذي أنجى يوسف عليه السلام من الجب، وأعلى أمره وأخرجه من السجن، وملّكه مصر بعد بيعه بثمن بخس، ومكّن له في الأرض، وجمع شمله بأبويه وإخوته بعد طول المدة وبُعد المسافة، قادر على إعزاز محمد وإعلاء كلمته، وإظهار دينه وتمكينه في الأرض (المراغي، د.ت، 57/13).

قال الله عز وجل: "**وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**" (ص:43). ذكر ابن عاشور في تفسيره للآية السابقة أن "في قصة أيوب مجملها ومفصلها ما إذا سمعه العقلاء المعتبرون بالحوادث والقائسون على النظائر استدلّوا على أن صبره قدوة لكل من هو في حرج أن ينتظر الفرج" (ابن عاشور، 1984م، 272/23).

إن ما ذكره القرآن الكريم من شأن أيوب عليه السلام يتضمن سنة من السنن التاريخية التي ينبغي على ذوي العقول تدبرها والإفادة منها، وهي سنة الابتلاء التي يقابلها الأنبياء والصالحون بالصبر الجميل الذي يرفعهم به الله درجات، ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى: "وذكرى لأولي الألباب". وقد بين الإمام أبو السعود رحمه الله حكمة تخصيص أولي الألباب بالاعتبار والنظر بقوله:" ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر (أيوب)، ويلجأوا إلى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ، ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة" (أبو السعود، د.ت، 299/7).

وقد جاء في سورة غافر حديث موسى عليه السلام وفرعون، وما انتهى اليه أمر موسى ومن معه من النصر والتمكين، وما آل إليه أمر فرعون من العذاب في الدينا والأخرة، ثم عقّب القرآن الكريم على هذه الأحداث التي أشارت إلى سنن النصر والهزيمة بقوله تعالى: "**هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ** " (غافر:54). وهذا يعني أن سنن الله التي خلت في عباده إنما يهتدي بها ويعتبر أولو الأفهام والعقول الناقدة.

وأشارت سورة الطلاق إلى سنة الله تعالى في الأمم التي عتت عن أمر ربها، فحاسبها ربها حساباً شديداً وعذبها عذاباً نكرا. وتلا ذلك تنبيه لأولي الألباب ليأخذوا الدرس والعبرة من تلك السنة الماضية. قال تعالى: "**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا** ". (الطلاق:10).

وفي قوله: " **فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**". حكمة ذكرها الخطيب بقوله: "هو إلفاتٌ لأهل العقول وأصحاب البصائر، أن يكون لهم مزدجر، من هذا الذي حل بالظالمين المعتدين من نقم الله في الدنيا، ومن العذاب الشديد في الآخرة، وأن يتقوا الله ويلتزموا حدوده، حتى لا يحلّ بهم ما حل بالظالمين من قبلهم. وإنما خوطب أولو الألباب، لأنهم هم الذين يمكن أن ينتفعوا بهذا الخطاب، وأن يكون لهم من عقولهم داع يدعوهم إلى الاعتبار، وإلى تلقّي العظة مما وقع لغيرهم، قبل أن ينزل بهم. فالعاقل من اتعظ بغيره، قبل أن يكون هو عظة لغيره" (الخطيب، 1984م، 1017/14).

إن الاعتبار بالسنن التاريخية ينبغي أن يتجسد في المؤسسات التعليمية، من خلال مناهج العلوم الإنسانية ولاسيما التاريخ وعلم الاجتماع، حيث تبرز قدرة المعلمين من أولي الألباب في استنباط السنن التاريخية والاجتماعية، التي تساعد الطلبة في فهم الأحداث التاريخية والوقائع الاجتماعية، ومن ثم تفسيرها والاستفادة منها في الحاضر والمستقبل، بما يؤسس منهجية جديدة في التفكير لدى الطلبة، تسهم في بناء جيل مفكر ناقد يحسن الاستفادة من الأحداث التاريخية واستثمارها في التعامل مع الواقع المعاصر، بدلاً من الاكتفاء بسردها واستظهار وقائعها.

8. التدبر المفضي إلى اليقين:

قال الله عز وجل: "**هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ**". (إبراهيم: 52).

تشير الآية القرآنية إلى بعض صفات آيات الكتاب المشار إليها، وقد رُتّبت بحسب حصول بعضها عقب بعض، فابتُدئ بالصفة العامة وهي حصول التبليغ، ثم ما يعقب حصول التبليغ من الإنذار، ثم ما ينشأ عنه من العلم بالوحدانية... ثم بالتذكير بما جاء به ذلك البلاغ. وهو تفاصيل العلم والعمل (ابن عاشور، 1984م، 255/13).

إن التدبر العقلي الذي يؤدي إلى اليقين، هو نشاط ذهني وجداني، يحقق للنفس الإنسانية الطمأنينة الراسخة من خلال اكتمال القوة النظرية والقوة العملية في الإنسان.

ويرى (الرازي، 2000م، 114/19) أن رأس القوة النظرية يتمثل في توحيد الله عز وجل، وأن رأس القوة العملية يحصل بالتذكر، الذي يؤدي إلى الإعراض عن الأعمال الباطلة والإقبال على الأعمال الصالحة.

وقال الله تعالى: "**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ**" (ص: 29).

يبين الله عز وجل في الآية السابقة حكمة إنزال كتابه المتمثلة في تدبر الناس آياته، والتأمل في معانيها لاستخراج ما فيها من بركة وخير، وليتذكر أولو العقول الصحيحة كل علم وعمل مطلوب. فدل هذا على أنه بحسب لبّ الإنسان وعقله، يحصل له التذكر والانتفاع. (السعدي، 2000م، 721/1).

وفي ضوء الآيتين السابقيتين من سورتي: "إبراهيم" و "ص" يتبين أن أولي الألباب هم القادرون على تدبر ما في القرآن من معان وسنن، والعبور بها نحو اليقين القلبي الذي يحمل الانسان على العمل بما علمه من دلالات الوحي. وهذا المعنى يشير بوضوح إلى أهمية تحريك جميع طاقات الإنسان الكامنة وهو يتلقى العلم النافع، من خلال التفكير والتدبر المصحوب بتقدير المحتوى العلمي والحرص عليه والاعتزاز به، ثم تحويله إلى عمل دؤوب وتطبيق نافع. وهذا يحتاج إلى معلم خبير ناقد، يستثمر جميع إمكانات الطالب وطاقاته العقلية والوجدانية والحسية، لتكون أدوات لفهم المواقف التعليمية وتدبرها والتيقن منها وتطويرها إلى خبرات عملية نافعة راسخة.

9. التقوى المجلّية للعلم والمعرفة:

ارتبطت التقوى بأولى الألباب في أربع آيات من الآيات التي ذكر فيها أولو الألباب، ومجموعها ست عشرة آية. والآيات الأربع هي: قوله تعالى: "**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**" (البقرة: 179). وقوله عز وجل: "**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**" (البقرة:197). وقوله سبحانه: "**قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**" (المائدة: 100). وقوله تعالى: "**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا**" (الطلاق: 10).

إن الربط بين أولي الألباب وصفة التقوى في الآيات السابقة يبين أن التقوى تورث العقل قوة وصفاءً وقدرة على التمييز بين الأمور بطريقة تزيل اللبس والغموض. ومما يؤيد ذلك قوله تعالى: "**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**" (البقرة: 282). وهذا يعني أن الله تعالى هو "الذي يعلمكم ما يصلح لكم أمر دنياكم، وما يصلح لكم امر دينكم متى اتقيتموه واستجبتم له" (طنطاوي، 1998م، 526/1).

وقد بين القرآن الكريم أن تقوى الله تمكّن الإنسان من التمييز بين الأمور والتفريق بينها، حيث قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**" (الأنفال: 29). والفرقان المقصود في الآية السابقة كما فسره (السعدي، 2000م، 319/1) هو: "العلم والهدى الذي يفرّق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة"

كذلك فقد بين القرآن الكريم أن التقوى تزود عقل الإنسان بنور كاشف، يدرك به ما لا يدركه غيره، حيث قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**" (الحديد: 28). وقد فسر (الشنقيطي، 1995 م، 158/2) النور المذكور في الآية السابقة بالعلم والهدى الذي يفرّق به بين الحق والباطل.

ومن خلال ما سبق، يظهر أن التقوى لها تأثير واضح على عقل الإنسان، من حيث تزويده بالضوء الكاشف الذي يستطيع به تفسير الظواهر والنفاذ إلى حقائقها، وملاحظة ما بينها من أوجه تماثل أو افتراق. ولذلك اقترنت صفة التقوى بأولي الألباب في بضع آيات لتشير بوضوح إلى أن هناك علاقة متبادلة بين التقوى والقدرات العقلية.

ويمكن أن يستفيد المعلم من توجيهات الآيات السابقة، في تنمية قيم التقوى لدى طلبته، وهذا من شأنه أن يحفظ عقول الطلبة من التشتت بين أمراض الشبهات والشهوات، ويجعلها أدق فهماً واستيعاباً لما يتعلمه الطلبة من مفاهيم واتجاهات ومهارات.

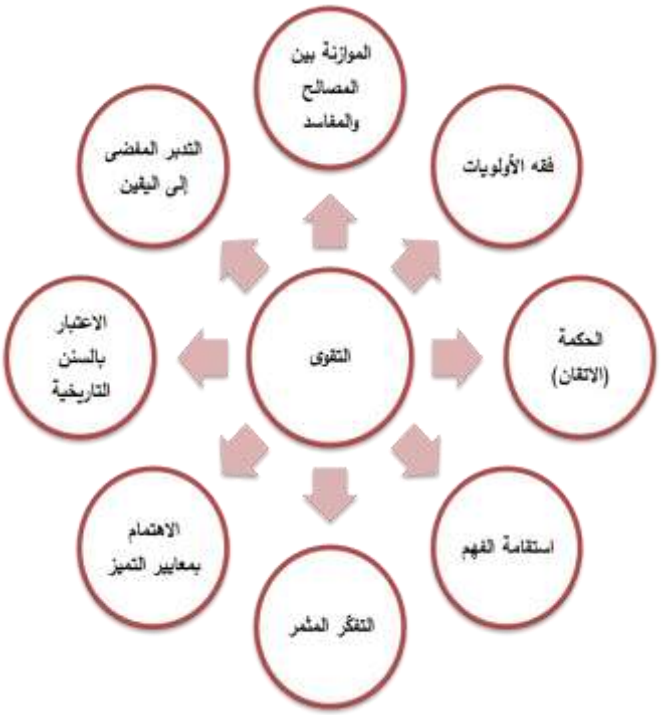

شكل يوضح الخصائص العقلية لأولي الألباب (إعداد الباحث)

نتائج الدراسة:

خلصت الدراسة إلى أن أولي الألباب يتميزون بجملة من الخصائص العقلية التالية:

1. التقوى التي تمثل مركز إشعاع ينعكس على جميع الخصائص العقلية الأخرى. ويتطلب ذلك اهتمام العملية التعليمية بترسيخ الجانب الإيماني في نفوس الطلبة، بوصفه الأساس الذي يبنى عليه جميع جوانب الشخصية.
2. الموازنة بين المصالح والمفاسد بطريقة تساعد الإنسان على تحصيل المصالح وتكميلها، ودفع المفاسد وتقليلها. ويقتضي ذلك إسناد المناهج التعليمية الجامعية ببرامج تدريبية تساعد الطلبة على إدراك مقاصد الفقه الإسلامي.
3. فقه الأولويات وتقديرها واختيار أقربها إلى تحقيق المراد. وهذا النوع من الفقه ضروري جدا، حيث يعيش المسلمون واقعا معقدا شائكا، لا يمكن أن يستقيم دون أن يكون ثمة ترتيب للأهداف المطلوبة بحسب أهميتها.
4. الحكمة التي تعنى الإتقان النظري والعملي، وجودة الأفكار والممارسات. وذلك من الأمور المهمة التي تحتاجها العملية التربوية في إعدادها جيلا معاصرا يجمع بين المهارات النظرية والعملية ليسهم في تنمية المجتمع.
5. استقامة الفهم بناءً على استخدام معايير صحيحة تقوم على رد المتشابهات إلى المحكمات. وهذا من شأنه تصحيح منهجية الفهم للقرآن الكريم.
6. التفكر المثمر في الآيات الكونية، والاستفادة منها في خدمة الإنسان وتحقيق رفاهيته. وهذا الجانب يساعد على الربط بين علوم التسخير الكونية، وغاياتها ووظائفها التي تؤديها في حياة الأمة.
7. الاهتمام بمعايير التميز والجودة، وتقديم الجوهر على المظهر، والنوع على الكم، بما يحقق النهضة الحقيقية للأمة في عصر أصبحت فيه القدرة على المنافسة في البرامج التعليمية وغيرها من المنتجات، من أهم مقومات الأمة الحية.
8. الاعتبار بالسنن التاريخية والاستفادة منها في التعامل مع الظواهر الاجتماعية، مما يمنح الإنسان قدرة فائقة على فهم الواقع الاجتماعي والتعامل معه بالطرق العلمية المناسبة.
9. التدبر المفضي إلى اليقين، بمعنى تدبر آيات الوحي والكون بمنهجية علمية سليمة، تؤدي إلى اليقين الذي ينفي الشكوك والظنون.

توصيات الدراسة

انتهت الدراسة في ضوء نتائجها إلى التوصيات التالية:

1. إيلاء القران الكريم أهمية خاصة في المؤسسات التعليمية بوصفه مصدر الهداية والحكمة.
2. تدريب المتعلمين في المرحلة الثانوية على النظر والتدبر في القرآن الكريم لتحقيق فهم أعمق لأحكامه وتوجيهاته.
3. تضمين برامج إعداد المعلمين في الجامعات مهارات التعامل مع القرآن الكريم التي تؤدي إلى فهم آياته واستنباط الجوانب التربوية منها.
4. ترسيخ اعتقاد المتعلمين بأن الوحي (القرآن والسنة)، هو مصدر التوجيه لجميع جوانب شخصية الإنسان المسلم، وليس

منحصراً في الجانب الروحي، ولا مقتصراً على الشعائر التعبدية.

5. تعزيز اهتمام مؤسسات التعليم العالي بتنمية المهارات العقلية المستمدة من القرآن والسنة لدى طلبتها.
6. العناية بجوانب الإبداع والتميز لدى فئة الشباب، من خلال مراكز تأهيلية، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، في رعايتها للشباب.

المقترحات

في ضوء نتائج الدراسة وتوصياتها يقترح الباحث إجراء الدراسات التالية:

1. دور مناهج المرحلة الثانوية في تعزيز صفات أولي الألباب المستفادة من القرآن الكريم لدى طلبتها.
2. دور متطلبات الجامعة الإسلامية في تعزيز صفات أولي الألباب المستفادة من القرآن الكريم لدى طلبتها.
3. القيم المستمدة من صفات أولي الألباب ومدى تضمينها في مناهج الكليات الشرعية في محافظات غزة.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم : تنزيل العزيز الحكيم.**

1. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين. (2001). *تفسير الراغب الاصفهاني*. تحقيق ودراسة: هند محمد سردار، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين.
2. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين. (2009). *معجم مفردات الفاظ القرآن*. ط1، بيروت: دار الكتب العليمة.
3. الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ت). *السلسلة الصحيحة*. المجلد الثالث (المكتبة الشاملة).
4. أنيس، إبراهيم وآخرون. (د.ت). *المعجم الوسيط*. (ج1)، قطر: مطابع قطر الوطنية.
5. البخاري، أبو عبد الله. (د.ت). *الصحيح المسند*. موقع الإسلام، www.alislam.com .
6. البيضاوي، أبو سعيد عبد الله. (1988). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. **ط1**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
7. الثعالبي، عبد الرحمن ابن محمد. (د.ت). *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة العلمي للمطبوعات.
8. جلال، فاطمة الزهراء. (2011). "مفهوم أولي الألباب في القرآن الكريم وخطابهم". **مجلة كلية الآداب** بجامعة حلوان، العدد (30)، السنة (15) يوليو 2011م. 9-48.
9. الخطيب، محمد بن محمد. (1984). *أوضح التفاسير*. ط1، القاهرة: المطبعة المصرية ومكتبتها.
10. الرازي، أبو عبد الله محمد. (2000). *مفاتيح الغيب*. ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
11. رضا، محمد رشيد. (1990). *تفسير القرآن الحكيم* (المنار). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
12. الزمخشري، أبو القاسم محمود. (1987). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي.
13. أبو زهرة، محمد بن أحمد. (د.ت). *زهرة التفاسير*. القاهرة، دار الفكر العربي.
14. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (2000). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. (تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق)، الرياض: مؤسسة الرسالة.
15. أبو السعود، محمد بن محمد. (د.ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
16. الشنقيطي، محمد بن محمد. (1995). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
17. الشوكاني، محمد بن علي. (1984). *فتح القدير*. بيروت: دار الكلم الطيب.
18. الطبري، محمد بن جرير. (2000). *جامع البيان في تأويل القرآن*.(تحقيق: احمد شاكر) القاهرة: مؤسسة الرسالة.
19. طنطاوي، محمد سيد. (1998م). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
20. ابن عاشور، محمد بن محمد. (1984). *التحرير والتنوير*.ط1، تونس: الدار التونسية للنشر.

21. القرطبي، أبو عبد الله محمد. (2003). *الجامع لأحكام القرآن*. (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، الرياض: دار عالم الكتب.
22. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (1999). *تفسير القرآن العظيم*.ط2، (تحقيق: سامي سلامة) المدينة: دار طيبة للنشر والتوزيع.
23. المراغي، أحمد بن مصطفى. (د.ت). *تفسير المراغي*. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
24. النسفي، عبد الله بن أحمد. (1998). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*.(تحقيق: يوسف على بديوي)، بيروت: دار الكلم الطيب.
25. أبو يعلى، أحمد بن علي. (1984). *مسند أبي يعلى*. (تحقيق: حسين أسد)، دمشق: دار المأمون للتراث.